

## القيم الصهيونية في الأدب العبري من خلال كتب التعليم الإسرائيلية

أ.م.د. فائزة عبد الأمير نايف الهديب

جامعة بغداد / كلية اللغات

قسم اللغة العبرية

Email : Fnayef@yahoo.com

### المخلص

لقد حفلت كتب التعليم العبرية في مختلف المراحل الدراسية بالكثير من المفاهيم الصهيونية ووفق سياسات تربوية ذكية أريد بها خلق أجيال تؤمن بالأفكار الصهيونية وتعمل على رسم المستقبل الذي أرادته المؤسسات الصهيونية للفرد والمجتمع اليهودي في إسرائيل.

يدرس في إسرائيل أربع عشرة مادة لمختلف المراحل، تضم التاريخ، الجغرافية، الأدب العبري، الأدب العبري القديم، الطبيعة واللغة العبرية. فمن خلال هذه المناهج يتم زرع المفاهيم الصهيونية في مراحل التعليم كافة وإظهار الزيف والافتراء.

وهذا الكتاب يدرس للسنة الثالثة من مراحل التعليم الأساسي، وزعت إلى أربعين موضوعاً أساسياً بعضها قصص قصيرة، وبعضها شعر، والآخر نثرأ، ويمكن القول بأن الاعتماد الأساس كان على الكتاب المقدس لليهود.

### סיכום

#### הערכים הציונים בספרות העברית מתוך ספרי החינוך הישראלי

ספרי החינוך העבריים בשלווים הלימודיים השונים הושפעו הרבה מהמושגים הציוניים، לפי מדיניות תרבותיות שנרצה ממה לצור דורות מאמינות במחשבות הציונות. ועשו תכנון העתיד שרצו אותו המוסדות הציוניים ליחיד ולחברה היהודית בישראל.

בישראל מלמדים ארבעה עשר מקצועות לשלבים שונים שהם היסטוריה ג'ופרפי והספרות העברית הקדומה، הטבע והלשון העברית. ומתוך השיטות האלו זרעו את המוסרים הציוניים בכל שלבי החינוך העברי.

حفلت كتب التعليم العبرية في مختلف المراحل الدراسية بالكثير من المفاهيم الصهيونية ووفق سياسات تربية ذكية أريد بها خلق أجيال تؤمن بالأفكار الصهيونية وتعمل على رسم المستقبل الذي أرادته المؤسسات الصهيونية للفرد والمجتمع اليهودي في إسرائيل.

وليست سياسة زرع المفاهيم الصهيونية تقتصر على مواد معينة كالتاريخ أو الجغرافيا، ولا على مرحلة دراسية دون غيرها كالمرحلة الأساسية المبكرة أو المتقدمة من عمر سني الدراسة، بل شملت، ربما معظم المواد الدراسية، ومعظم سنوات الدراسة. ولا أستطيع الجزم إن كانت كتب الهندسة والرياضيات والجبر تحمل بعض تلك المفاهيم الصهيونية أيضاً، بل أعجب إن كانت تخلو منها.

لقد أدركت إسرائيل قبل وبعد قيامها أهمية العلم ودوره كنشاط ضمن أنشطة التنشئة الاجتماعية، كما اهتمت منذ البداية بإحياء اللغة العبرية والثقافة اليهودية باعتبارهما دعامتين أساسيتين متصلتين بالفكر الصهيوني، كما حظي التعليم بمراحله الأولى بمعظم الميزانية الصهيونية لتأسيس وتقوية الاستيطان في فلسطين حيث أدرك زعماء الصهيونية أهمية الاستثمار في التعليم من أجل تحقيق الأهداف السياسية المنشودة لدولة إسرائيل.<sup>(١)</sup>

وهذا طبعاً انطلاقاً من أن الكتب التدريسية تعبر عن الايديولوجيا الرسمية وتقوم بنقل القيم والغايات التي يرغب المجتمع إكسابها للأجيال الصاعدة.<sup>(٢)</sup>

درس كثير من الباحثين العرب مناهج التعليم الإسرائيلية، والأفكار الصهيونية والعنصرية التي اشتملت عليها كتب التعليم الإسرائيلية التي كرسّت لزرع المفاهيم الصهيونية في مراحل التعليم المتقدمة، وأظهروا كثيراً من الزيف والافتراء الذي شوّه صورة العربي، مثلاً، بما أضفوا عليه من صفات ليست فيه، وبما سلبوا منه حلاً تكزّمه وتضعه في مرتبة عليا من مراتب الإنسانية.

ارتأيتُ أن أقصر هذا البحث على كتاب واحد يُدرّس في مرحلة مبكرة هي السنة الثالثة من مرحلة التعليم الأساسي، وهو كتاب يهدف إلى تعليم اللغة العبرية والتمكن منها، إضافة إلى تزويد التلميذ بمعارف مختلفة ومتنوعة الموضوعات، ومؤلفوه هم: ل. كينيس، أ. بوخر، ي. ليفنتون، وسمي بـ "ספר הכיתה השלישית" (كتاب الصف لسنة التعليم الثالثة).

يمكن القول أن النصوص المتعلقة بالمفاهيم الصهيونية أو التي تدفع باتجاه التربية الصهيونية تشكل أكثر من ثمانين بالمائة من نصوص الكتاب التي وزعت على أربعين موضوعاً رئيسياً ضم كل واحد منها ثلاث قطع متصلة موضوعياً.

وغطت هذه الموضوعات مساحة زمنية واسعة امتدت من العصور التوراتية إلى العصر الحديث، وتم اختيار هذه الموضوعات بشكل يتناسب مع عمر التلاميذ في هذه المرحلة وتطلعاتهم التعليمية. ويهدف إلى غرس المفاهيم الصهيونية في أفكارهم في نفس الوقت. وهذا يتفق تماماً مع نص المادة الثانية من قانون تعليم الدولة لعام ١٩٥٣ على أن التعليم الابتدائي ينبغي أن يؤسس على قيم الثقافة اليهودية وتحصيل العلوم

ومحبة الوطن والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودي والتدريب على العمل الزراعي والحرفي وتحقيق مبادئ الرواد<sup>(٣)</sup>.

وتنوعت هذه الموضوعات بين تقديم النصوص التوراتية للتلميذ باعتبارها تفسيرات تاريخية للأعياد والمناسبات التي يعيشها ويحتفل بها المجتمع ربطاً للحديث بالقديم وتعليماً للتلميذ الصغير بعض جوانب ماضي أجداده.

ولعل أهم استخدام للنص التوراتي جاء من خلال ذكر الأعياد اليهودية وتعريف التلميذ بخلفياتها كذكر الكتاب لعيد الفوريم<sup>(٤)</sup> وما يجري من طقوس فيه (١٥٦ - ١٦٤) فقد قَدِّم له بنصوص مركزة ومبسطة من سفر إستير، وجاء فيها قوله (١٥٦): (מֶלֶךְ □ גְּדוֹל הָיָה בְּעִיר שׁוּשַׁן בְּאֶרֶץ פָּרַס، וְשָׂמוּ אֶת־שׁוּרַשׁ. עֵשָׂה הַמֶּלֶךְ □ מִשְׁתָּה לְכָל שָׂרָיו וְעַבְדָּיו، וְאָמַר לְהַבִּיא אֶת וְשֵׁתִי הַמֶּלֶכָה אֶל הַמִּשְׁתָּה). (كان هناك ملك عظيم في مدينة شوشنة في أرض فارس، واسمه احشويرش. عمل الملك وليمة لكل رؤسائه وعبيده، وأمر بأن يؤتى بالملكة وشتي إلى الوليمة) ويستمر النص العبري في سرد موقف الملك الغاضب من وشتي التي رفضت الحضور إلى الوليمة. وهنا قال أحد الرؤساء للملك (١٥٦): (יְקַח לּוֹ، אֲדָנָי הַמֶּלֶךְ □، אִשָּׁה אֲחֵרָת בְּמָקוֹם וְשֵׁתִי) (وبأخذ سيدي الملك له زوجة أخرى بدل وشتي)

وينتقل النص إلى وجود مردخاي اليهودي الذي تبنى ابنة عمه إستير لأنه لم يكن لها أب وأم، وقدمها وهي الجميلة الطلعة إلى الملك فأحب الملك إستير ووضع على رأسها تاج الملك، وجعلها ملكة بدلاً من وشتي: (אֱהָב הַמֶּלֶךְ □ אֶת אֶסְתֵּר וַיִּשֶׂם כֶּתֶר הַמֶּלְכוּת בְּרֵאשִׁיָּהּ، וְהַמֶּלֶךְ □ אוֹתָהּ תַחַת וְשֵׁתִי).

وتستمر القصة بوصف صعود نجم مردخاي لأنه اطلع على سر اثنين من حراس باب الملك أراد قتله، فأسر مردخاي بالأمر إلى إستير التي بدورها أخبرت الملك باسم مردخاي، فصلب الحارسان على خشبة، وكتب في سفر أخبار الأيام: (מֵרַדְכַי הַצִּיל אֶת הַמֶּלֶךְ □ אַחֲשֵׁרוּשׁ מִמָּוֶת) (مردخاي أنقذ الملك أحشويرش من الموت). ثم ينتقل النص إلى ذكر عداة هامان لليهود بسبب عدم سجود مردخاي له وبالتالي فإنه ذكر للملك أن اليهود الموجودين في المملكة يختلفون عن باقي الأمم، وفي هذا إيحاء للتلميذ بتميز اليهود عن غيرهم، إذ قال هامان (ص ١٥٧): (יֵשׁ עַם אֲחֵד، הוּא עַם הַיְהוּדִים، וְהוּא שׁוֹנֵה מִכָּל הָעַמִּים) (يوجد شعب واحد، هو الشعب اليهودي، وهو مختلف عن كل الشعوب).

ومن المعلوم أن النص هنا يختلف عن النص في سفر إستير اختلافاً واضحاً، إذ أن النص التوراتي يقول باختلاف شرائعهم لا باختلافهم كشعب (سفر إستير ٣ : ٨): (וַיֹּאמֶר הָמָן، לְמַלְכָּה אַחֲשֵׁרוּשׁ--יִשְׁנֹנוּ עַם-אֲחֵד מְפֹרָד וּמְפֹרָד בֵּין הָעַמִּים، כָּכָל מְדִינֹת מְלָכוּתָהּ؛ וְדַתֵּיהֶם שְׁנוֹת מִכָּל-עַם، וְאֶת-דַּתִּי הַמֶּלְכָּה אֵינָם לַעֲשִׂים، וְלְמַלְכָּה אֵין-שׁוֹה לְהַנִּיחֵם)

(فَقَالَ هَامَانُ لِلْمَلِكِ أَحْشَبِيرُوشَ: «إِنَّهُ مَوْجُودٌ شَعْبٌ مَّا مُتَشَنَّتْ وَمُتَفَرَّقٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ بِلَادٍ مَمْلَكَتِكَ، وَسُنَّتُهُمْ مُغَايِرَةٌ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ، فَلَا يَلِيقُ بِالْمَلِكِ تَرْكُهُمْ».)

وإذ يقترح هامان على الملك أن يأمر بقتلهم أعطاه الملك الإذن للقيام بذلك. فأمر هامان بأن يقتل يهود المملكة في يوم واحد هو الثالث عشر من شهر آذار.

ولما سمع مردخاي بالأمر أرسل إلى إستير لتطلب من الملك إنقاذ شعبها من القتل فلبست إستير رداء الملك وطلبت من الملك أن يحضر مع هامان إلى وليمتها. ومع تكريم الملك لمردخاي الذي أنقذه من القتل، قالت إستير في اليوم التالي أن رجلاً شريفاً يرغب في قتلها وقتل شعبها (١٦٠): (אִישׁ רַע הָפִיז לְהַרְגֵי אוֹתִי וְאֶת יַלְדָי) (فأمر الملك بصلب هامان وتكريم مردخاي وإبطال أمر هامان) ولذلك (וְכָל הַיְהוּדִים עָשׂוּ אֶת יוֹם אֲרַבְעָה עָשָׂר וַחֲמִשָּׁה עָשָׂר לְחֹדֶשׁ אֲדָר יְמֵי מְשֻׁמָּה וְשִׁמְחָה...) (وكل اليهود جعلوا من يوم الرابع عشر والخامس عشر من آذار ليومي ولائم وفرح...).

وهكذا فإن تقديم التلميذ لقصة إستير تذكر بانتصار اليهود على أعدائهم وبطلان الرب لما كان يُبَيِّت لهم، كما احتلت الدراسة الدينية حيزاً كبيراً في مناهج التعليم بشكل عام حتى أن العديد من الموضوعات تدرس الزاوية الدينية المعتمدة على المناهج التوراتية التي تؤكد على أن أرض إسرائيل مخصصة لليهود<sup>(٥)</sup> ولا يكتفي الكتاب بذكر القصة التوراتية، بل يذكر أناشيد مما ينشده الأطفال في هذه المناسبة وما يفعله التلاميذ في المعبد خلال قراءة سفر إستير تكريماً ليوم الفوريم كالتكرار بأقنعة وما يرافق ذلك من طرائف يشعر التلاميذ بمتعتها.

كذلك من الأعياد التي ذكرت في الكتاب عيد الفصح<sup>(٦)</sup> חַג הַפֶּסַח (ص ١٩٥) وقدم له الكتاب باقتباس من العهد القديم (خروج ١٣ : ٣):

(וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה אֶל-הָעָם، זְכוּר אֶת-הַיּוֹם הַזֶּה אֲשֶׁר יֵצְאתֶם מִמִּצְרַיִם מִבֵּית עַבְדִּים، כִּי כַחֲזֹק יָד، הוֹצִיא יְהוָה אֶתְכֶם מִזֶּה; וְלֹא יֵאָכֵל، חֻמֵץ) (وَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «اذْكُرُوا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّهُ بِيَدِ قُوَّةٍ أَخْرَجَكُمْ الرَّبُّ مِنْ هُنَا. وَلَا يُؤْكَلُ حَمِيزٌ.») وفي سفر الخروج أيضاً (١٣ : ٦):

(שִׁבְעַת יָמִים، תֹּאכַל מִצַּחַת; וּבַיּוֹם، הַשְּׁבִיעִי، חַג، לַיהוָה) (سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُ فَطِيرًا، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عِيدٌ لِلرَّبِّ)

ثم تلت ذلك أبيات تصف ظهور النار في العوسج حين صعد موسى للقاء الرب بعنوان موسى الراعي مننننن

הַרְוֵנָה וּפִיהָ قוֹלֵה (١٩٥):  
בְּהָרַ חוֹרֵב، נָשָׂם בַּמַּדְבָּר  
בוֹעֵר בְּאֵשׁ הַסֵּפֶד

...

في جبل حورب، هناك في الصحراء

العوسج يشتعل نارا ...

ثم يسرد الدرس قطعة بلغة مؤكدة حال اليهود وعبوديتهم في مصر (ص ١٩٦):

(عِبָדִים הָיִינוּ לְפָרֹעַ בְּמִצְרַיִם، וַיּוֹצֵאֵנוּ ה' אֱלֹהֵינוּ מִשָּׁם בְּיַד חֲזָקָה וּבְזֶרַע נְטוּיָה. וְאֵלוּ לֹא הוֹצִיא הַקְּדוֹש־בְּרוּךְ הוּא אֶת אֲבוֹתֵינוּ מִמִּצְרַיִם، הָרִי אָנוּ וּבְנֵינוּ וּבְנֵי בְנֵינוּ מִשְׁעָבָדִים הָיִינוּ לְפָרֹעַ בְּמִצְרַיִם)

(كنا عبيدا لفرعون في مصر، وأخرجنا الرب إلها من هناك بيد قوية وذراع ممدودة. ولو لم يخرج الرب المقدس المبارك آباءنا من مصر، لكنا حقا نحن وأبناؤنا وأبناء أبنائنا عبيدا لفرعون في مصر) ولتثبيت ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر وإسكان الرب لهم في مزال (لاويين ٢٣ : ٤٣) ذكر الكتاب أيضاً عيد المزال חג הסוכות في أحد موضوعاته (ص ٢٤) وبدأه بالأمر باتخاذ هذا العيد:

(חג הסוכות תעשה ל' שבועת ימים בארץ מגרן ומיקב، ושמת בחג!)

(عيد المزال تعمل لك سبعة أيام عند جمعك من بيدرك ومعصرتك وتفرح بعيدك!)

ثم يجيب عن تساؤل يطرحه عن سبب الاحتفال بعيد المزال بجواب مستمد من التوراة بطبيعة الحال (لاويين ٢٣ : ٤٣) في قوله (ص ٢٤):

"כֹּאשֶׁר יֵצְאוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם לְלֶכֶת לְאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל، עָבְרוּ דֶרֶךְ מִדְבַר גְּדוּל. אַרְבָּעִים שָׁנָה הָלְכוּ בְנֵי יִשְׂרָאֵל דֶרֶךְ הַמִּדְבַר וְעָבְרוּ מִמְקוֹם לְמִקוֹם، וְלִכֵּן לֹא פָנוּ לָהֶם בָּתִּים، כִּי אִם יָשְׁבוּ בְּסוּכוֹת، לְזֵכֶר הַיָּמִים הָהֵם חוֹגְגִים אֲנַחְנוּ אֶת חַג הַסּוּכוֹת"

"عندما خرج بنو إسرائيل من أرض مصر للذهاب إلى أرض إسرائيل، اجتازوا طريق صحراء عظيما. أربعون سنة ذهب بنو إسرائيل في طريق الصحراء من مكان لمكان، ولكنهم لم يبنوا لهم بيوتا، إنما سكنوا في مزال، ولتذكر تلك الأيام نحن نحتفل بعيد المزال"

وهو الذي تألفت منه ثلاثة مفاهيم: مفهوم الخلق، والمفهوم الاجتماعي أو الإنساني ومفهوم التحرر من العبودية بخروج بني إسرائيل من مصر<sup>(٧)</sup>.

وينفس هذه الطريقة التي تعرف التلاميذ بالنصوص التوراتية وبالتاريخ القديم لأبائهم ذكرت الأعياد الأخرى كعيد البكور (ص ٢٥٣)، والسبت (ص ١٨٣)، مع ذكر أسباب تشريعات هذه الأعياد، وتفاصيل طقوس ما يجري فيها أو التحضير لها وفق النصوص التوراتية لربط التلاميذ بالتراث اليهودي الديني.

وإلى جانب هذه الأعياد الدينية وضعت بعض الأيام السياسية أو ما يمكن تسميتها تجوزاً بالأيام الوطنية التي تذكر التلاميذ بتاريخهم القديم والمعارك التي قام بها آباؤهم ضد أعدائهم، وهي أيام مقدسة عندهم وتجعل من شخصها نماذج يقتدي بها جيل الصغار الدارسين لهذه النصوص، ومن تلك الأيام يوم حانوكاه חנוכה والتي بدأها الكتاب بنص شعري ممتع للأطفال بذكره الكعك الذي يؤكل في هذه المناسبة، ثم يتلى بنص نثري يفسر خلفية هذه المناسبة على لسان أحد التلاميذ فيقول (ص ٨٩):

(لפני שנים רבות נפלה ארץ-ישראל בידי היונים. מלכם אנטيوخوس היה רשע ואכזר. העמיד פסל בבית-המקדש וגזר על היהודים שלא ילמדו תורה ושלא ישמרו את השבת. ואשר לא ישמע בקול-יהרג)

(قبل سنين كثيرة سقطت أرض إسرائيل بأيدي اليونان. وملكهم أنطيوخوس كان شريرا وقاسيا. نصب تمثالا في بيت المقدس وأمر اليهود بأن لا يدرسوا التوراة وأن لا يحفظوا السبت، ومن لا يطع قوله يقتل) ثم يستمر النص في وصف تمرد اليهود ومحاربتهم اليونان والانتصار عليهم وصعودهم في الخامس والعشرين من شهر كسلو بفرح إلى أورشليم وإزالتهم للتمثال من بيت المقدس وإنارتهم للشمعدان ثمانية أيام، ثم يختم النص بقوله (ص ٩٠):

"חג החנוכה חג האורים، חג גדול הוא לנו... חג בצהרון החשמונאים הגבורים על היונים הרשעים" "عيد الشمعدان عيد الأنوار، عيد عظيم هو لنا... عيد انتصار الحشمونيين الجابرة على اليونانيين الأشرار" وفي النص كما يلاحظ تأكيد على أن هذه الأرض هي أرض إسرائيل منذ القدم، أي إقناع التلاميذ الصغار بحقهم التاريخي في الأرض المقدسة، كما أن الأمم الأخرى، يونانا أو غير ذلك هم أشرار لتعديهم على بيت المقدس<sup>(٨)</sup>. ومن الأيام الأخرى التي يحتفل بها ويراد منها تكريس مفهوم البطولات التاريخية للرموز اليهودية في سبيل التمسك بالأرض أيام تذكر تمرد بركوخا מרד בר-כוכבא (ص ٢٣٣) فيورد النص قصة وجود الرومان كأعراب على أرض إسرائيل وظهور بركوزيفا בר-כוזיבא ولقائه مع رابي عقيبا وما دار بينهما من تغيير اسمه إلى بركوخا בר-כוכבא والتهيئة لقتال الرومان ثم يختم النص بانتصار كتائب بركوخا على الرومان واحتلالهم المدن واحدة بعد أخرى والحصون واحداً بعد آخر في يهودا والجليل والسامرة (٢٣٥):

"והמרד התחיל. גדודי בר-פוכבא נלחמו באריות، הם פכשו עיר אחר עיר ומכפר אחר מכפר ביהודה، בגליל ובשומרון" ولم يستطع الرومان الوقوف أمام جند بركوخا... إلخ. وكما فعل جند بركوخا حين أشعلوا النيران على الهضاب لإنارة كل الأرض بنور الانتصار، يُعلم التلاميذ أن يشعلوا النيران العظيمة احتفاءً بذكري المناسبة الوطنية وهم يرقصون ويهتفون (ص ٢٣٨):

"מי אתה؟" من أنت

ישראל! إسرائيل!

"מי אבי?" من أبوك

ישראל! إسرائيل!

"מי עמך?" من شعبك؟

ישראל! إسرائيل!

"וארץ?" وأرضك؟

ישראל! إسرائيل!

ثم يقرأ الأطفال شيئاً من أناشيد בר-כוכבא (ص ٢٣٩) التي تحمس الأطفال وتعيد إليهم أجواء المعركة السابقة، بعد أن صاروا جزءاً من التاريخ اليهودي الذي ألصقته هذه النصوص بأرض الوقت الحاضر. ومن الأعياد الوطنية الحديثة التي يذكرها الكتاب عيد إعلان الدولة "חג העצמאות" فيشير في نصوص إلى تكريم الذين ماتوا في معركة (تحرير) الدولة والانتصار من أبنائه وبناته (جنود الدفاع الإسرائيلي)

(ص ٢١٠). ويشير إلى أن إعلان دولة يهودية في أرض إسرائيل كان في الخامس من شهر أيار سنة ١٩٤٨، عندما أعلن رؤساء شعب إسرائيل عن إقامة دولة يهودية هي دولة إسرائيل، وإن ذلك اليوم هو عيد للأجيال: "כיום ה' באייר، נשנת תש"ח. הכריזו ראשי עם ישראל על הקמת מדינה יהודית בארץ ישראל، היא מדינת ישראל"

وبالنص على يهودية الدولة التي يُلقتها الأطفال في هذا العمر المبكر يُربّون على عنصرية دينية تنظر إلى غير اليهود في إسرائيل على أنهم أغراب دخلاء ليس لهم في هذه الدولة أي من الحقوق إلا ما يعطيها اليهود لهم إن شاعوا.

وبعد إيراد إعلان الدولة، يورد الكتاب نص نشيد الأمل התקנה (ص ٢١٠)، الذي يحث التلاميذ على الوقوف عند صهيونية الأرض التي يتطلع إليها اليهود بعيونهم "לין לזיון צופיה-ארץ ציון، יהושלים" بعد التأكيد على ملكيتهم الشرعية للأرض "זהיות עם חכשי בארצנו" (لنكون شعباً حراً في أرضنا). ومن القيم الصهيونية التي تعامل معها الكتاب موضوعة الهجرة إلى فلسطين وحث اليهود على ترك بلدانهم والقدوم إلى الأرض المقدسة، وبما يتناسب مع تلاميذ هذا الصف أورد الكتاب أبياتاً قصيرة يسهل حفظها والتغني بها تدعو إلى الهجرة وتشجع عليها بعنوان "צאנינה، ספינות" (اخرجي أيتها السفن) (ص ٨٧) هذا نصها:

צאנינה، ספינות، צאנינה	את פני צפונה
אל מעבר ים!	ואת-למערב
מהרנה، הבנה	יהודים ציונה
יהודים משם!	הבנה עם רב

اخرجن، أيتها السفن، اخرجن	أنت اتجهي شمالاً
إلى ما وراء البحر!	وأنت - إلى الغرب
أسرعن، واجلبن	يهودا إلى صهيون
يهودا من هناك!	اجلبن شعباً عظيماً

كما أن اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين منذ بدايات هذا القرن، وهم يحملون ثقافتهم الأوربية وقدراتهم على التعبير، ويحملون أفكاراً مسبقة عما يريدون إنجازه من خلال استيطانهم كانوا قادرين على تصوير فكرة العودة بعد الشتات وفكرة الأرض الخالية من السكان وفكرة الإعمار، فتداخلت أفكارهم الدينية مع أفكارهم الحديثة<sup>(٩)</sup>. وفي موضع آخر (ص ١٧١) يورد الكتاب تحت ما أسماه نשיר הוללים (أنشودة المهاجرين) ومن خلالها يتم إيصال معلومات تتعلق بالمهاجرين فهم يأتون من كل جهات الأرض، وبخاصة من نجا منهم من الاضطهاد الذي حلّ بهم في أوربا، وهؤلاء يقدمون إلى صهيون ليحيوا الأرض بعد أن كانوا يعملون في أراض غريبة، في مدن بعيدة. وهذه الأنشودة مما يمكن أن يقوم به التلاميذ، إذ يقسمون إلى مجموعتين: الأولى تمثل المهاجرين والأخرى تمثل الجماعة التي تستقبلهم وهذا نصها:

העולים:

מארבע כנפות הארץ  
באנו הנה בהמון  
בדמעה משם נמלטו  
ברנה נעלה ציון  
הקהל : ברוכים הבאים

المهاجرون:

من أربع جهات الأرض  
جئنا إلى هنا بجمهور  
بدمعة من هناك نجونا  
بأغنية نأتي إلى صهيون  
الطائفة : بورك القادمون!

העולים

בגולה ערים בנינו,  
שדות זרים חרשנו נשם.  
פה חפשים נבנה ביתנו  
ונקה אדמת העם.

הקהל:

ברוכים הבאים

المهاجرون

في الجالوت مدناً بنينا،  
حقول الأعراب هناك حرثنا.

هنا أحراراً بنينا بيوتنا  
وتحيي أرض الشعب

الطائفة : بورك القادمون!

ومن القيم الصهيونية التي قدمها الكتاب للتلاميذ الاعتراف بفضل الصندوق القومي اليهودي كجزء من التعليم الذي ساعد المهاجرين في الحصول على الأرض للعمل فيها بعد شرائها، فيذكر الكتاب أنه خصص يوم للاحتفال بالصندوق القومي حגיבה הקרן הקימת وفيه يجتمع الأطفال وهم يرتدون ملابس الأعياد احتفاء بهذه المناسبة في قاعة حيث يرفع الستار لينشد الأولاد مذكرين بأن فلسطين كانت خربة والحجارة هناك وهذا إلى أن جاء اليهود بواسطة הקרן הקימת ليعملوا في الأرض فنظفوها وسقوها وزرعوها بأشجار خضراء. وختم المعلم الذي قص قصة الأرض على الأطفال قصته بقوله أن الشباب اليهود قالوا وفعلا "אמרנו ונעשו" (ص ١٦٨).

وفي قصة طويلة يُعلم التلميذ مظاهر تكريم الصندوق القومي التي تجري في كل عام (ص ٢٦٠ - ٢٦٥) حيث يجمع التلاميذ بكور الفواكه والزهور في كل عام في سلال يحملونها على أكتافهم ويسيروا إلى مكتب

الصندوق القومي ليقدموها هدية له اعترافاً منهم بفضلهم عليهم بتشجيع المهاجرين الأوائل وتهيئة فرص العمل لبناء الدولة وتحقيق أحلامهم التي عاشوها طويلاً. وكأن كل سلة كتب عليها، كما كتبت إحدى التلميذات وهي بعيدة عن الدولة (ص ٢٦٤):

הִנֵּה נְשָׁלְחֵתִי מִרְאשֵׁית פְּרִי גִבְעוֹתֵי  
מִנְחַת קֹדֶשׁ לְקֶרֶן הַקְּיֻמָּת בְּיִשְׂרָאֵל!  
הָאֵל אֲרִסְלֵת מִן בְּכוֹר פֹּאכֵהָ חֲדִיקְתִּי  
הֵדִיעָה קְדָסָה לְלִסְדוֹן הַקְּוִמִי בְּיִשְׂרָאֵל!

ومن القيم الصهيونية التي حفل بها الكتاب وصف الأرض المقدسة بالخراب قبل وصول المهاجرين اليهود إليها، والحث على إحياء الأرض والعمل فيها باليدين، فنقرأ مرة (ص ٤٥):

הִנֵּה בְּאֵנִי، מַה מְצִאֵנִי؟  
קוֹץ، חֲרוּל، זֶרֶר.  
הֲנָא גֵּינָא، מַדָּא וַגְּדָנָא؟  
שׁוּכָא، חֲסָא، עוֹסְגָא.

ونقرأ في موضع آخر (ص ٣١٥) "הַגִּבּוֹן וּבְנֵי" (الفلاح وأبناؤه) قصة تؤدي إلى حراثة الأرض والوصول إلى الكنز المدفون فيها، وهو خيرها. كما نجد في موضع آخر (ص ٢٤٥) قصيدة بعنوان נְשִׁיר הַפְּלֹחַ أنشودة الفلاح تتحدث عن عمل الفلاح في الأرض، حراثة وزراعة، حتى يصل بعمله إلى الحصاد بلا كلل أو ملل، حتى ينتج الخبز له ولغيره! وفي النص يرى التلميذ تقديساً لعمل الفلاح في الأرض ويتعرف على قيمة الخبز الذي يأكله، وكم من الجهد بذل لإنتاجه.

وفي هذا السياق يقرأ التلاميذ مجموعة من القصائد تمجد عمل اليدين بمختلف المهن، فتحت יְצִיחַ לְכַפֵּיָם (ص ١٧٢) يورد الكتاب قصائد على ألسنة من يعمل في الزراعة، أو في البناء. أو أغنية لصياد سمك، وكلها مهن ضرورية لبناء أي وطن، وصولاً إلى تحقيق أهداف التعليم التي منها الإيمان بالعمل الزراعي وبالحرص إلى جانب حب الوطن والإخلاص للدولة ولشعب إسرائيل.<sup>(١٠)</sup> وفي إحدى قصص الكتاب (ص ١٢١) تحت عنوان הַנְּדָמָה לַחֲקֵי הָאֲדָמָה يعيش الطلاب فكرة أن الأرض كانت تبكي لأنها مهملة مهجورة خربة ليس فيها شيء ولكنها بعد أن زُرعت دبّت فيها الحياة وأصبحت ضاحكة، لكثرة ما فيها من الورد والشجر.

ولا يفوت الكتاب الإشارة إلى ما تعرض إليه اليهود من اضطهاد في ألمانيا النازية، فأورد نصاً وكأنه من يوميات طفلة بنفس عمر التلاميذ يصف بحث الألمان عن اليهود في البيوت لأخذهم إن وجدوهم إلى حيث لا يرجعون فنقول (ص ٢٠٨):

עָרַבְעָרַב עוֹבְרוֹת הַמְּכוּנֵיּוֹת הַצָּבְאִיוֹת. הַגְּרָמָנִים מְצַלְצְלִים בְּכָל דָּלֶת. וְשׁוֹאֲלִים، אִם יֵשׁ יְהוּדִים בְּבֵית. אִם כֵּן לֹקְחִים הֵם אִתָּם אֵת כָּל הַמְּשֻׁפָּחָה שֶׁבְּמִקּוֹמָם...

في كل مساء تمر السيارات العسكرية الألمانية. يقرعون أجراس كل باب، ويسألون إذا كان في البيت يهود. فإن كان كذلك يأخذون معهم كل العائلة التي في المكان... إذن يمكن القول إن حياة الشتات من ناحية وما يطلق عليه اليهود اسم (الكارثة) من ناحية أخرى والتمسك بالقيم التوراتية هذه كلها ظلت عبر العصور تحث اليهود على (العودة من المنفى)<sup>(١١)</sup>.

وفي مقابل هذا فإن الكتاب حاول غرس القيم الصهيونية المتعلقة بعسكرة الدولة، ففي أكثر من نص جعل الجندي نموذجاً يحتذى ويحترم، وينظر إلى الرجل العسكري في أي صنف من صنوف الجيش نظرة تقدير. كيف لا وهو الذي يضحي ويموت في سبيل سلامة هؤلاء التلاميذ! وتحاول بعض الدروس أن تتحدث عن العلاقة القوية بين أفراد المجتمع وبين أفراد الجيش وتعاطف الصغار مع جرحى الجنود في المستشفيات أثناء الحرب، وفي مقابل ذلك فإن الجنود يشعرون بالامتنان نحو هؤلاء الصغار فيزورونهم بعد خروجهم من المستشفيات وربما يقدمون لهم هدايا بالنيابة عن أطفالهم (ص ٢٢٢).

وتجعل واحدة من القصائد أن يصبح الطفل طياراً حين يكبر من أجمل أحلامه، فهو في صغره كان يرسل إلى السماء الطائرات الورقية التي ليست لها أجنحة، ويحلم هو أن يطير كتلك الطائرات بلا أجنحة (ص ٢٢٠):

טלמא דאן	כָּל עוֹד דָּן
סגירה	הִיא קָטָן,
אָטלֶק טאַטֶרֶת	הוא נָלַח עֲפִיפּוֹנִים
אֶל הַעֲנָנִים	אֶל הַעֲנָנִים
וּחֶלֶם, לוֹ אֲנִי אֵינִי	וְחֶלֶם : "לוֹ גַם אֲנִי
טֶרֶט כַּאֲטֶרֶת	עֲפִיפּוֹנִים,
וּלְנָא אֲגִנְחָה וְלֹא	גַם לָהֶם כְּנִפְיֵם אֵין
נֶחֱלַק בִּי הַשָּׁמַיִם	וְטָסִים הֵם בְּשָׁמַיִם

وفي نص آخر نجد كيف أن الشخص يبحث صاحبه على الذهاب إلى الجيش وخاصة في أيام المعارك، إذ يرد على لسان أحد الجنود وهو قلق على صاحبه الذي لم يأت إلى الجيش متسائلاً (ص ٢١٣):

"בֵּימֵי שְׁלוֹם לֹא נִכְרַדְתִּי מִמֶּנּוּ, לָמָּה אֶכְרַד בֵּימֵי מְלַחְמָה? מִכִּשֶׁר הוּא וְיָכוֹל הוּא, לְשֶׁרֶת אֶת הָאָרֶץ כְּמוֹנִי"

"في أيام السلام لم أنفصل عنه. لم أفترق في أيام الحرب؟ معافى هو وقادر، على خدمة البلد مثلي"

وهكذا يُعَلِّم التلاميذ أن الجندية يجب أن تشمل الجميع وأن الجندية هي للحفاظ على البلاد وحمايتها.

وفي قصيدة أخرى على لسان أحد الأطفال يشعر التلاميذ أن حالهم تماماً كحال هذا الطفل الذي ذهب أبوه إلى الجيش فيتعاطفون معه ويتقبلون أي مصير يحل بأبائهم أو بهم حني يفتقدون آباءهم أو يفقدونهم (ص ٢١٥):

וְאַבָּא לֹא הָיָה בְּבֵית.  
אֶל הַצֵּבָא הַלְּ□.  
עֲבָרוּ יָמִים، יָמִים، וְלֹא חָזַר،  
וַיְמָה מוֹזָר ؟  
וְאָבִי לֹם יִכֵּן בֵּית  
إلى الجيش ذهب  
مرت أيام، وأيام، ولم يعد.  
وما الغريب؟

בְּכָל מְקוֹם הָיָה חֶסֶר  
יְדַעְתִּי כִּי אֵינְנוּ،  
א □ כָּל הַזְּמַן קָוִיתִי : אֶמְצְאוּ  
מִבֵּית לְחֶצֶר אֵנִי תוֹעָה  
אוֹתוֹ אֵינִי רוֹאֶה، אֵינִי רוֹאֶה...  
في كل مكان كان مفقوداً  
علمت أنه غير موجود  
ولكن طول الوقت أملتُ : ألقاه  
من البيت إلى الفناء أتردد  
ولكنني لا أراه، لست أراه...

وفي درس آخر يقرأ التلاميذ قصة جميلة بعنوان **אבא הלך לעתודות** (أبي يذهب إلى قوات الاحتياط) وفيها يذكر الراوي كيف أن ذهاب الأب طال حتى لم يعد الابن يتحمل عدم لقاء أبيه فأرسل رسالة إلى قائد الجيش يخبره باشتياقه إلى رؤية أبيه فما كان من قائد الجيش إلا أن أرسل أباه إلى البيت لرؤية ابنه حال استلامه رسالة الابن. ثم اعتاد الابن فراق أبيه لأنه ذاهب لخدمة البلاد، فعندما حان وقت رحيل الأب قال الابن (ص ٢١٩):

"אָמָא، עֲכָשׁוּ יֵשׁ לִי הַרְבֵּה כַּח לְחֶכּוֹת עַד שְׂאֵבָא יַחְזוֹר"  
"أمي الآن عندي كثير من القوة لأنتظر حتى يعود أبي"

ومثل هذه القصة تهيئ التلاميذ لقبول حال فراق الأب عند ذهابه إلى الجيش، بل في داخلها وُضعت جملة على لسان الصغير تقول بأنه لا يزال صغيراً للالتحاق بالجيش لرؤية أبيه ولكنه (يحب كل الجنود، إنه كذلك سيصبح جندياً ولكنه الآن صغير)

"אַיני אוהב את כל החילים וגם אני אהיה חייל، אבל יעשו אבי חייל"

ولا ينسى المؤلفون أن يضمنوا الكتاب قصيدة لتكريم الجندي المجهول على لسان أحد التلاميذ، فقد ذهب أخوه إلى الحرب ودعاه إلى انتظار عودته في الغد، ولكن الحرب انتهت وجاء الغد وفيه سلام، وعاد الآخرون، ولم يُمنع أحد، إلا أخوه فإنه بقي هناك، ولكن التلميذ يتقبل بأن أخاه الوحيد الذي بقي ولكنه حي فيه (ص ٢٢١):

مחר" כפר בא،	غداً حقاً إنه قادم
כפר יש "היום"،	فعلاً موجود هو اليوم
אין מלחמה،	لا توجد حرب
כפר יש שלום	فعلاً هناك سلام
הכל חזרו. אין נעדר	الجميع عادوا. لا يوجد مفقود
רק הוא אהד נשא	وبقي واحد فقط
א □ פי הוא חי	ولكن هو حي
מרדכי	مردخاي

وهذا هو الموقف الذي يجب أن يتربى عليه التلاميذ في سبيل حب البلاد وقبول التضحية من أجلها. وحول هذا الموضوع علق أحدهم قائلاً: "إن الإسرائيليين يبذلون كل ما بوسعهم لإعداد الطلاب اليهود وتهيئتهم ليوم غد الذي قد تنشب فيه الحرب بينما لا يبذلون أي جهد لتهيئة الطلاب اليهود لبعد غد الذي قد يجلب السلام<sup>(١٢)</sup>."

ومن أحداث التاريخ الحديث يتعرف الطلبة على بعض رموزهم الذين يعدونهم أبطالاً لقتلهم العرب، وفي نفس الوقت يعلم التلاميذ كره العرب لأنهم لم يتركوا اليهود يقيمون المستوطنات كما يشاؤون وأينما يشاءون، فتحت موضوع יום תל חי (يوم تل حي) (ص ١٥٤) يصف الكتاب ما حدث آنئذ وكيف أن العرب هاجموا مستوطنة حمرا חמרה التي في الجليل وكيف أن اليهود هربوا إلى تل حي، ولكن العرب أحرقوا أكواخ اليهود. وفجأة صاح أحد اليهود بأن هناك محراثاً بقي من محاربتهم. فأصرّ ترومبلدور على أخذه معهم إلى تل حي برغم الرصاص الذي كان يأتيهم من العرب.

عند وصولهم إلى تل حي لام أحدهم ترومبلدور لأنه خاطر بحياته من أجل محراث. فردّ عليه الأخير (ص ١٥٥):

"أين زو' מתרשף סתם - ענה טרומפלדור - זהו דגלנו, המתרשף היא דגלו של עם ישראל החוזר לארצו. דגל - אסור להשאיר בידי האויב..."

"هذا ليس محرثا عاديا - أجاب ترومبلدور - هذا علمنا، المحرث هو علم شعب إسرائيل العائد لأرضه. ومحرم ترك العلم بيد العدو..."

وإلى جانب التعريف ببطولة ترومبلدور فإن النص يعلم التلاميذ أن العرب أعداء ولن يتركوهم يعيشون بهدوء وإن الزراعة في الأرض وإعمارها أهم القيم التي جاء بها الرواد الأوائل، والمحرث هو شعار اليهود، وإنهم عادوا إلى أرض هي حق لهم وليس لغيرهم، ويجب أن يتقبل الآخرون ذلك لأنهم لن يتركوا الأرض لأي سبب من الأسباب. ولا غرابة بعد ذلك بأن يكتب أحد التلاميذ في الموضوع الإنشائي حول العرب: "إن العرب يريدون مواصلة ما بدأه الألمان وقتل جميع اليهود في أرض إسرائيل<sup>(١٣)</sup>".

هذه هي أهم القيم الصهيونية التي أراد الكتاب أن يوصلها إلى تلاميذ صغار أعمارهم دون العاشرة ولكنهم يغذون بأفكار بالغة النضوج في هذه السن المبكرة، ولا شك أنها تؤتي أكلها بعد حين.

### الهوامش

- ١- صفا محمود عبد العال، التعليم العلمي والتكنولوجي في إسرائيل، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٩٣، ٩٤.
- ٢- د. خالد أبو عصبه، جهاز التعليم في إسرائيل، مؤسسة الأيام، رام الله ٢٠٠٦، ص ٥٦.
- ٣- سمير سمعان وآخرون، العرب في مفاهيم التعليم الإسرائيلية، ط ١، عمان ٢٠٠٤، ص ٣١، ١٥.
- كذلك انظر: إيلي أبو ديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ترجمة: وليد أبو بكر، مؤسسة الأيام، ٢٠٠٦، ص ٥٣، ٥٤.
- ٤- انظر تفاصيل العيد وبعض الصور التاريخية عن مخطوطات قديمة في:  
Encyclopedia Judaica, Jerusalem, Vol. ١٣, p. ١٦١٨
- ٥- فائزة عبد الأمير نايف، ثقافة الكراهية في أدب الأطفال العبري، بغداد، كلية اللغات ٢٠١١، ص ٢.
- ٦- انظر تفاصيل العيد ولوحات عنه في:  
Encyclopedia Judaica, Jerusalem, Vol. ١٣, p. ١٦٣.
- ٧- د. محمد الهواري، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٠.
- ٨- وللمزيد حول دعوى الحقوق التاريخية في أرض إسرائيل، انظر: صفا عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥، ص ١٣١ - ١٥٧.
- ٩- وليد أبو بكر، صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٦، ص ١٣.
- ١٠- د. خالد أبو عصبه، المصدر السابق، ص ٧٢.
- ١١- وليد أبو بكر، المصدر السابق، ص ١٥.
- ١٢- إدير كوهن، وجه قبيح في المرأة، ترجمة غازي السعدي، عمان ١٩٨٨، ص ٣١.
- ١٣- إدير كوهن، المصدر السابق، ص ٢١.

## المصادر

- ١- أدير كوهين، وجه قبيح في المرأة، ترجمة غازي سعدي، عمان، ١٩٨٨.
- ٢- إيلي أبو ديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ترجمة: وليد أبو بكر، مؤسسة الأيام، ٢٠٠٦.
- ٣- خالد أبو عصبه، جهاز التعليم في إسرائيل، رام الله، مؤسسة الأيام، ٢٠٠٦.
- ٤- سمير سمعان وآخرون، العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية، ط ١، عمان ٢٠٠٤.
- ٥- صفا محمود عبد العال، التعليم العلمي والتكنولوجي في إسرائيل، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ٢٠٠٤.
- ٦- صفا محمود عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥.
- ٧- العهد القديم، الكتاب المقدس
- ٨- فائزة عبد الأمير نايف، ثقافة الكراهية في أدب الأطفال العبري، كلية اللغات، بغداد، ٢٠١١.
- ٩- محمد الهواري، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٠.
- ١٠- وليد أبو بكر، صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، دار الكرمل، عمان، ١٩٩٦.
- ١١- ل. كيپنيس، أ. بوكز، ي. ليوנטون، "ספר הפתה לשנת הלמודים השלישית"، دبיר، تل أبيب، הדפסה א، תשכ"ב.
- ١٢- ספר : תורה - נביאים - כתובים
- ١٣- Encyclopedia Judaica, Jerusalem, vol. ١٣. P. ١٦١٨.